Journal of the College of Education for Humanities
University of Thi-Qar \ ISSN:2707-5672
مجلة كلية التربيـة للعلـوم الانسـانيـة
جامعة ذي قار / الرقم المعياري 2707-5672
https://doi.org/10.32792/utq/jedh/v15i4

المعنى القرآني بين الصنعة النحوية وتوجيهات دارسي الإعجاز القرآني

رنا خضير جابر
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / جامعة ذي قار / كلية التربية للعلوم الانسانية / قسم اللغة العربية,
rana.ktheear.jaber@utq.edu.iq

أ.م.د. مهند ذياب فيصل
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي/ جامعة ذي قار/كلية التربية للعلوم الانسانية/قسم اللغة العربية,
dr.mohannd.thiyab.faisal@utq.edu.iq

الملخص

يشكّل المعنى ركيزة مهمة في الدرس اللغوي على المستويين القديم والحديث, ولا سيما في حقل الدراسات القرآنية, ولذا كانت الدلالة الغاية التي يسعى إلى تحصيلها دارس التركيب اللغوي القرآني, الساعي إلى استكشاف دقائق التعبير فيه, وما يكمن في هذا التركيب من لمسات بيانية, ووقفات بلاغية, تكون عماد الإعجازية فيه, ويحدث في العادة أن يتكلّف الدرس النحوي القديم في إيجاد الوجوه النحوية التي تلائم القاعدة التي أثبتها, وهو في مسعاه إلى بيان التوجيهات النحوية لبعض الآيات القرآنية, ومن هنا جاءت فكرة البحث لتسلّط الضوء على وقفات التفرقة بين ما جاء به النحويون من توجيهات نحوية لبعض آيات القرآن الكريم, وما قال به المحدثون من توجيهات تتلاءم والإعجاز القرآني, إذ قد تتباين الدلالة للتركيب النحوي القرآني بين ما جاء به أهل الصنعة النحوية في ضوء قواعدهم المعتمدة عندهم, وما لمسه الدارسون لإعجاز القرآن الكريم من أسرار بيانية اقتضت صياغة التركيب النحوي بشاكلة معينة, وأن التركيب جارٍ مجرى إرادة هذه الدلالة, والسر الإعجازي, فلا حاجة للتقدير والتأويل والتكلفت فيهما, من هذه النقطة جاء هذا البحث يسلّط الضوء على هذه الحقيقة, القائمة على بيان المعنى بين ما جاءت به الصنعة النحوية, وما وقف عليه دارسو الإعجاز القرآني من أسرار بلاغية رائعة, لنقف بذلك على أهم الأسرار الإعجازية في القرآن الكريم, ورهافة الدلالة والمعنى فيه, بما يميزه بشكل لافت للنظر عمّا جاءت به الصنعة النحوية.

الكلمات المفتاحية : الصنعة، الإعجاز، التأويل, القاعدة النحوية.

Journal of the College of Education for Humanities
University of Thi-Qar \ ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربيـة للعلـوم الانسـانيـة
جامعة ذي قار / الرقم المعياري 2707-5672

The Qur'anic Meaning between Grammatical Craftsmanship and the Directives of Qur'anic Miracle Students

Rana Khader Jaber

Department of Arabic Language, College of Education for Human Sciences, University of Thi – Qar , rana.ktheear.jaber@utq.edu.iq

Prof. Dr. Muhannad Diab Faisal

Department of Arabic Language, College of Education for Human Sciences, University of Thi – Qar . dr.mohannd.thiyab.faisal@utq.edu.iq

Abstract

Meaning is an important pillar in linguistic study at both the ancient and modern levels, especially in the field of Quranic studies. Therefore, significance is the goal sought by the student of Quranic linguistic structure, seeking to explore the subtleties of expression in it, and what lies in this structure of rhetorical touches and rhetorical pauses, which are the foundation of its miraculousness. It usually happens that the ancient grammatical study is burdened with finding grammatical aspects that suit the rule it has established, while striving to explain the grammatical directions of some Quranic verses. Hence, the idea of research came to shed light on the differentiating pauses between what grammarians have provided of grammatical directions for some verses of the Holy Quran, and what modern scholars have said of directions that are compatible with the Quranic miraculousness. The significance of the Quranic grammatical structure may vary between what the people of the grammatical craft have provided in light of their approved rules, and what the students of the Quranic miraculousness have touched upon of rhetorical secrets that necessitated the formulation of the grammatical structure in a specific way, and that the structure is in line with the will of this significance and the miraculous secret. There is no need for estimation, interpretation, or effort in them. From this point, this research came to shed light on this fact, based on clarifying the meaning between what the grammatical craftsmanship brought, and what the students of the miracle of the Qur'an have discovered of wonderful rhetorical secrets, so that we may stand with that on the most important miraculous secrets in the Noble Qur'an, and the delicacy of the meaning and significance in it, which distinguishes it in a striking way from what the grammatical craftsmanship brought.

Keywords: craftsmanship, miracle, interpretation, grammatical rule

المقدمة

الصناعة النحوية هي القواعد والأصول التي تقتضي أن يقال عن هذا اللفظ إنه فاعل, أو مفعول، أو حال أو منصوب على نزع الخافض، وبعبارة أخرى: إعراب اللفظ وفق وجوده في الجملة وإعرابه نابع من الأصول والقواعد المعروفة، وعليه تكون الصناعة موافقة للمعنى، وقد يكون مخالفًا للمراد، فتكون المخالفة بينهما. (محمد، 1999)

واذا تأملنا مؤلفات النحويين لوجدناهم يعنون بالصناعة النحوية مصطلح من مصطلحاتهم النحوية، قال ابن جني (ت329ه): فجعل أهل علم العرب ما استمر من الكلام في الإعراب وغيره من مواضع الصناعة مطردا، وجعلوا ما فارق ما عليه بقية بابه وانفرد عن ذلك إلى غيره شاذًا. (أبو الفتح، 2018)

لا شك أنَّ الإعراب كان عند الاوائل أداة تمييز وتفريق بين المعاني، تدرج وتطور إلى أن أصبح صناعة لفظية وتجاذب مع الدلالة المعنوية, فإذا بعدت أو أظهرت انفكاك بينهما نتج عن ذلك أشكال بين الصناعة الإعرابية والدلالة المعنوية, فبرز أنصار الصناعة للمحافظة على قواعدهم من الخلل والاضطراب, ولو بأسلوب التكلف والاحتيال. (محمد، النحو العربي بين الصناعة والمعنى، 1999)

الصنعة النحوية

نبّه ابن جني (ت329ه) إلى العلاقة بين الإعراب والمعنى, فقعد لذلك في كتابه الخصائص بابًا بعنوان (باب في تجاذب المعنى والاعراب) قائلًا: ((هذا موضع كان أبو علي – يعتاد - ويلم كثيرًا به، ويبحث على المراجعة له، والطاف النظر فيه. وذلك أنك تجد في كثير من المنثور، والمنظم الإعراب والمعنى متجاذبين: هذا يدعوك إلى أمر، وهذا يمنعك منه. فمتى اعتورا كلامًا ما امسكت بعروة المعنى وارتحت لتصحيح الاعراب) ، (أبو الفتح، 2018) مبينًا أنَّه إذا كان المعنى مقتضيًا له والإعراب مانعًا له احتلت له، (أبو الفتح، 2018) ونحوه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴾ [غافر:10]، فالظرف (إذ) من حيث المعنى متعلق بقوله: لمقت الله، والمعنى يقال لهم: لمقت الله إيّاكم وقت دعائكم إلى الإيمان فكفركم، أكبر من مقتكم أنفسكم الآن، بيد أنَّ صناعة النحوية تأبى ذلك، للفصل بين الصلة التي هي الظرف (إذ) وبين الموصول الذي هو (لمقت الله)، وهذا أمر لا تجيزه ضوابط الصفة النحوية، ولكي يكون المعنى صحيحًا يرى ابن جني (ت329ه) أن يصحح طريق الإعراب، بأن يضمر ناصب يتناول الظرف، ويكون المصدر (لمقت) المذكور دالّا على ذلك الناصب والتقدير: مقتكم إذ تدعون. (أبو الفتح، 2018)

وقال أبو حيان (ت745ه): وقد طال بنا الكلام في (إيا) ولواحقه... لكنها أشياء يؤدي إليها الصناعة النحوية. (الأندلسي، 1998)

وقد جمع ابن هشام (ت761ه) بين أثر الصنعة والمعنى, إذ ذكر أثر كل واحد منهما في الآخر، وقد بحثها في كتابه (مغني اللبيب) بعنوان (الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها), وقد احصى هذه الجهات بعشر جهات تحديدًا, وجعلها من الأمور الواجب على المعرب تجنبها ومراعاتها, وإذا لم تتم مراعاتها وقع الخطأ:

ومن الجهات التي عمد إلى ذكرها (الجهة الأولى: أن يراعي ما تقتضيه ظاهر الصنعة ولا يراعي المعنى، وكثير ما تزل الأقدام بسبب ذلك)، أمَّا الجهة الثانية فـ(أن يراعي المعرب المعنى صحيحًا ولا ينظر في صحته في الصنعة). (ابن هشام، 2023)

وجاء في الاقتراح: (النحو صناعة علمية، يعرف بها أحوال كلام العرب من جهة ما يصح ويفسد في التأليف). (السيوطي، 2006)

إذن, فإنَّ العلماء تمسكوا بأصول العربية وأحكامها وقواعدها، وكانوا إذا وجدوا تجاذبًا - أي مخالفة - بين المعنى وأصول الصناعة النحوية لجأوا إلى التأويل والتقدير حفاظًا على تلك الأصول المقررة.

ومن النحويين المحدثين الذين تناولوا الصناعة النحوية د. تمام حسان, فقد شرح ارتباط النحو بخصائص العلم المضبوط (الصناعة), وبيَّنَ كل خصيصة من هذه الخصائص, وضرب أمثلة عليها، وأكد أنَّه يتحقق للنحو الموضوعية والشمول والتماسك والاقتصاد, لذا فهو يعد علمًا مضبوطًا. (حسان، 2000)

وقد أشار د. جميل علوش إلى أنَّ المعنى لا ينبغي أن يعتمد عليه اعتمادًا كليًا في وضع قوانين صناعة النحو، لأنَّ للصناعة النحوية قوانين واصولًا خاصة بها، فإنَّ النحوي لا بد أن ينظر إلى المعنى في وضع قواعده وأصوله بقدر معين وبشكل لا يسيء إلى الصناعة النحوية ولا يخرج عن قواعدها، (علوش، 1997) فإنَّهم حكموا على ظواهر إعرابية وتراكيب أسلوبية بأنَّها مخالفة للقياس، ونعتوا ما حكموا عليه بذلك بأنَّه: شاذ لا يقاس عليه، أو نادر لا يقاس عليه أو أنَّه غير منقاس، أو قضوا بأنَّه جاء مباينًا له هو الأقيس، فلم يكن ليعني النحويين أن يتجهوا بالنحو إلى الكشف عن إعجاز القرآن الكريم، والربط بين الأحكام النحوية والتراكيب فيه ربطًا تنكشف من خلال دلائل إعجازه. ولا ريب أن منعهم لبعض ما يرونه من القرآن الكريم مخالفًا لما يريدون، أو حكمهم عليه بما رأينا، أو حمله على الهابط من الكلام لدلائل نؤكد هذا المآخذ على جهودهم.

وقد شكّلت ثنائية الصناعة النحوية والمعنى منطلقًا للنقد النحوي عند دارسي الإعجاز القرآني، فكثير منهم رأى أنَّ البيان القرآني والتفسير القرآني يأبى أن يحكم وفقًا للصناعة النحوية، إذ رأوا أنَّ اخضاع التعبير القرآني للصناعة النحوية يفقده روعة بيانه وتفرّده الأسلوبي، بل أن تحكم القواعد النحوية (الصناعة النحوية) ستكون على حساب المعنى القرآني، ويصبح النص القرآني معها أشكالًا جامدة لا روح فيها.

إنَّ مثل هذا التوجه رفضه دارسو الإعجاز القرآني, وأبرز من انطلق في نقده النحوي من رفضه اخضاع النص القرآني لصناعة النحويين د. عائشة عبد الرحمن، فقد ذهبت إلى عد بعض التفاسير لبعض الآيات فيها جود نحوي وبلاغي لا يخدم البيان الأعلى, ففي قوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾، [الضحى:5] ترى أنَّ المفسرين ركزوا في تفسير (اللام) في (سوف) على الصفة النحوية, وحكموا الآية على قواعدهم النحوية, فالقاعدة النحوية عندهم أنَّ اللام في (سوف) إذا كانت للقسم، لا تدخل على المضارع إلَّا مع نون التوكيد، وإن كانت اللام للابتداء فإنَّها لا تدخل على المضارع إلَّا مع نون التوكيد، وإن كانت اللام للابتداء فإنَّها لا تدخل إلَّا على الجملة من المبتدأ والخبر. ممَّا دفعهم إلى التكلف والاحتيال جريًا وراء القاعدة النحوية لتسوية الصنعة الإعرابية, وادخلوا الآية في تقديراتهم عندما لم يجدوا مخرجًا مطابقًا لقواعدهم. فقد رأى الزمخشري: أنَّه لا بد من تقدير مبتدأ محذوف، وأن يكون أصل العبارة: ولانت سوف يعطيك ربك فترضى. (جار الله، 2010)

وكذلك قال أبو حيان: إنَّ اللام هنا لام ابتداء, أكدت مضمون الجملة على اضمار مبتدأ. أي: ولانت سوف يعطيك. (الأندلسي، البحر المحيط، 1993) في حين ترى د. عائشة عبد الرحمن أنَّ الاحتكام إلى حس العربية والموازنة بين التعبير القرآني ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ وتأويل الزمخشري (ولانت سوف يعطيك) ندرك أنَّهم جاوزوا قدرهم حين يؤولون الآية المحكمة من البيان الأعلى, فيقول قائلهم: لا بد من تقدير كذا... لأنَّ أصل التعبير كذا، وبأنَّه كان يكفي أن يكون البيان

الأعلى هو الشاهد والحجة والأصل الذي تعرض عليه القواعد النحوية والبلاغية لا أن نحكم فيه قواعد النحاة والبلاغين في دراستهم للعربية علمًا وصفة. (بنت الشاطئ، 1996)

وتقول عائشة عبد الرحمن: (إنَّ القرآن الكريم هو النص الموثوق وهو الذروة العليا في نقاء أصالته وإعجاز بيانه، وهو النص الوحيد الذي لم تطله يد التحريف أو الوضع كما طالت النصوص الأدبية من شعر ونثر، فالأولى والحال كذلك أن نحتكم إليه في التوجيه النحوي والبلاغي، ولا نأخذ فيه بتأويل لعلماء السلف على صريح نصه وسياقه، لتسوية قواعد الصنعة النحوية وضوابط علوم البلاغة). (بنت الشاطئ، 1996)

وتخلص د. عائشة عبد الرحمن إلى أنَّ النحاة يثيرون مسائل ثم يتكلفون لها الجواب وإنَّما البيان القرآني يتسق هنا في هذه الآية, ويتكامل بلفظ (سوف)؛ لأنَّه فيه إيناسًا لرسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنَّه كان وسوف يظل موضع عناية ربّه: في أمسه وغده، وفي أولاه وأخراه. (بنت الشاطئ، 1996)

ومن تطبيقاتها قوله تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى * أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى * أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ [العلق: 9-14]

ترى د. عائشة عبد الرحمن أنَّ النحاة من المفسرين وقفوا طويلًا عند الفعل (أ رأيت) الذي تكرّر هنا ثلاث مرات في آيات متتاليات، دون أن يصرح فيها بالمفعول الثاني للفعل (رأى) على ما تقتضيه الصنعة الإعرابية. (بنت الشاطئ، 1996)

ثم تسوق رأي الزمخشري: أنَّ الجملة الشرطية في (أرأيت إن كذب وتولى) في موضع المفعول الثاني لـ(أرأيت الذي ينهى. عبدًا إذا صلى)، ثم قرّر أنَّ (رأيت) زائدة قبل الشرط إن كذب, أمَّا جواب الشرط فهو (ألم يعلم بأنَّ الله يرى)، وعلى هذا التأويل تبدو (أرأيت) في الجملة الشرطية مقحمة على السياق. (جار الله، 2010)

رفضت د. عائشة عبد الرحمن ما ذهب إليه الزمخشري من محاولته لتسوية الصنعة بمفعول ثانٍ وعززت رفضها برفض أبي حيان مذهب الزمخشري مع أنَّه نفسه لم يستطع التخلص من أغلال الصنعة النحوية, فلم يلتفت إلى قول الزمخشري بزيادة (أرايت) في جملة الشرط من تكلف ينبو به السياق ويتمزق، بل ذهب إلى أنَّ المفعول الثاني للفعل (رأيت) لا يكون جملة استفهامية. وكذلك رفض مذهب الزمخشري في جعل (ألم يعلم بأنَّ الله يرى) جوابًا للشرط (إن كذب) محتكمًا إلى القاعدة النحوية التي تقرر اقتران جواب الشرط بالفاء. (بنت الشاطئ، 1996)

أمَّا د. عائشة عبد الرحمن فلها مذهب خاص بالمفعول الثاني للفعل (أرأيت) بأنَّ القرآن قلّما يتعلق بذكر المفعول الثاني للفعل (أرأيت) بالأسلوب الاستفهامي خطابًا للمفرد (أرأيت) أو (أرايتم) خطابًا للجمع وإنَّما استغني عن هذا المفعول بتقرير يلفت إلى موضع العبرة والنذير وهي تحتكم إلى البيان الأعلى, فنجد أنَّ كل الآيات التي ذكر فيها (أرأيت) سواء للمفرد أو الجمع السؤال فيها تقريري. (بنت الشاطئ، 1996)

وخلصت د. عائشة عبد الرحمن إلى أنَّ البيان العربي يستغني عن المفعول الثاني للفعل (رأى) حين تقترن بهمزة الاستفهام في الخطاب, وأن لا تنشغل بالبحث عن المفعول الثاني خضوعًا للصنعة النحوية بل الأولى أن نتدبر سر هذه الظاهرة الأسلوبية التي لا تتخلف في آيات العلق خلقت إلى ما هو جدير بالرؤية والبصر والتدبر واغنت عما تعلق به النحاة من مفعول ثانٍ مقدر أو غير مقدر يختلفون عليه. (بنت الشاطئ، 1996)

وتقول: (إنَّما اطلب الوقوف هنا، قصدًا إلى التنبيه إلى ما يلقانا في ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم، لم تأتِ على المقرر من قواعد النحاة وأحكام البلاغيين المدرسين، فيشغلنا عن البيان العال، تسوية الصنعة النحوية أو البلاغية، بالتأويل فيه والتقدير...). (بنت الشاطئ، 1996)

ومن تطبيقاتها أيضًا قوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾، [التكاثر: 5-6] ترفض د. عائشة عبد الرحمن فصل الجملتين (كلا لو تعلمون علم اليقين) و (لترون الجحيم)، وترى أنَّ الجملتين مرتبطتان وأنَّ الثانية هي جواب الشرط ولا حذف ولكن الذي لجأ إلى الحذف لتسوية الصنعة الإعرابية مع فصل الجملتين, فراحوا يتأولون في الموضعين كلاهما, ويتكلفون تتمه مفترضة لكلتا الآيتين, فأجمعوا على أنَّ القطع بين الجملتين واجب، وأصروا على أنَّ (لترون الجحيم) منفصلة عن (كلا لو تعلمون علم اليقين) مع تقريرهم أنَّ كل آية منهما لا يمكن أن تستقل بمعناها, فالأولى شرط يحتاج إلى جواب والثانية جواب يحتاج إلى شرط أو قسم. (بنت الشاطئ، 1996)

ففي الجملة الأولى قدروا أنَّ جواب الشرط يدل عليه ما قبله, فجاء في البحر المحيط: لو تعلمون علم اليقين لما ألهاكم التكاثر عن طاعة الله ربكم، ولسارعتم إلى عبادته والانتهاء إلى أمره، (الأندلسي، البحر المحيط، 1993)أو لفعلتم ما لا يوصف ودفعكم إلى السعي فيما تصلح به ظواهركم وتخلص به لله سرائركم وتتحد به في تأييد الحق هممكم. (جار الله، 2010)

وفي الجملة الثانية، قالوا: ((لترون الجحيم، جواب لقسم محذوف، والقسم لتوكيد الوعيد). (جار الله، 2010)

ثم تبين د. عائشة عبد الرحمن السبب الذي منع ارتباط الجملتين عندهم، بحيث تكون الثانية تتمه للأولى وجوابًا للشرط فيها أنَّ النحاة قرروا أنَّ (لو) حرف امتناع لامتناع، أي أنَّ جوابها يمتنع لامتناع الشرط، فلو أننا جعلنا (لترون الجحيم) جوابًا لـ(لو)، لاقتضى ذلك تحقق رؤية الجحيم مع (لو)، وهذا محال في حكم الصنعة النحوية. (بنت الشاطئ، 1996)

ثم تسوق عائشة عبد الرحمن قول الرازي في ضرورة القطع بين الجملتين: (اتفقوا على أن جواب لو محذوف، وأنَّه ليس قوله: لترون الجحيم جواب لو، إذ لو كان جوابًا لوجب ألَّا تحصل الرؤية، وذلك باطل). (الرازي، 1981)

ثم تعلق بقولها: (وهكذا تتدخل الصنعة النحوية في نسق البيان الأعلى، وتقطع ما بين الآيتين، ثم تحوج إلى تأول تتمه مفترضة لكل منهما، مع أنَّ المعنى يقوى بلا ريب، لو وصلنا بين الآيتين، إذ تكون رؤية الجحيم عين اليقين القاضية على كل شك، المحققة لعلم يقين لا ريب فيه) .

وتخلص د. عائشة عبد الرحمن إلى أنَّ ابن هشام بيّن أنَّ (لو) تأتي على خمسة أوجه وفي الشرطية منها اختلاف في الامتناع بها نحو قولهم: إنَّها تفيد امتناع الشرط وامتناع الجواب وهو ما جري عند النحويين كقاعدة مطردة عندهم وهو باطل بمواضع كثيرة نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان:27] . (ابن هشام، 2023)

ثم يقول حول (لو): وقد اتضح أنَّ أفسد تفسير لـ: لو، قول من قال: حرف امتناع لامتناع...). (ابن هشام، 2023)

نقل د. شلتاغ عبود قضية رفع (الصابئون) المعطوف على اسم (إنَّ) الواجب النصب والتي تعدُّ من أكثر القضايا أخذًا وردًا بين النحاة القدامى المعاصرين في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [المائدة: 69] قال ابن مكي: والصابئون مرفوع

على العطف على موضع (إنَّ) وما عملت فيه، وخبر إن منوي قبل الصابئين، فلذلك جاز العطف على الموضع، والخير هو (من أمن) ينوي به التقديم فحق (والصابئون والنصارى) أن يقعا بعد (يحزنون)، وإنَّما احتيج إلى هذا التقدير؛ لأنَّ العطف في إن على الموضع، لا يجوز إلَّا بعد تمام الكلام وانقضاء اسم إنَّ وخبرها، فينعطف على موضع الجملة. (القيسي، 1971)

وذهب الفراء نقلًا عن الكسائي إلى: هو عطف على المضمر في (هادوا)، وهو غلط، لأنَّه يوجب أن يكون الصابئون والنصارى يهودًا، وأيضًا فإن العطف على المضمر المرفوع قبل أن يؤكد أو يفصل بينهما بما يقوم مقام التأكيد قبيح عند النحويين. (أبو زكريا، 1955) وذهب سيبويه إلى: أنَّ خبر الثاني محذوف وخبر إنَّ في آخر الكلام يراد به التقديم قبل الصابئين، فيصير العطف على الموضع بعد خبر (إن) في المعنى. (سيبويه، 1988)

أشار د. شلتاغ عبود إلى تخبط النحاة القدامى وذهبوا مذاهب شتى في تأويلاتهم لإيجاد مسوغ لرفع (الصابئون)، ونقل عن إبراهيم مصطفى تخطئته النحاة في نصب اسم (إنّ)، وكان ينبغي أن يكون حقه الرفع لكن النحاة اخطأوا في فهم هذا الباب وتدوينه وأنَّهم تأولوه أعسف تأويل ليمضي حكمهم في أن اسم (إنَّ) لا يكون إلَّا منصوبًا. ويرى شلتاغ عبود أنَّ الذين يتأملون القرآن معنويًا وفنيًا يهتدون إلى شيء آخر وراء التنوع في الحركة الإعرابية هدفًا ربانيًا وتربويًا. (عبود، 1993)

وجاء مصححًا للمفاهيم السائدة لدى اليهود حيث قالوا: (نحو أبناء الله واحباؤه)، وجاء التعبير القرآني مغايرًا لما قبله بالرفع دون النصب حيث إنَّ فيه تنبيه لأفكارهم وتسفيه لمذاهبهم بأنَّ رحمة الله وسعت كل شيء، فليس الصابئون مطرودين من رحمة الله حسب زعمهم، بل هم مثل الأديان السماوية في شمولهم الرحمة إذا آمنوا بالله وباليوم الآخر وعملوا عملًا صالحًا. (عبد الرحيم، 1981)

ثم يطالعنا الدكتور أحمد بسام الساعي في كتابه (المعجزة) بدراسة (الالتفات النحوي) الذي يتمثل بشكل خاص في حالات النصب الطارئة والمفاجئة للقارئ وهي حالات ابكت النحويين على مدى العصور وحاولوا النحاة جهدهم كما هو شأنهم مع أية حالةٍ قرآنية مستعصية مخالفة لقواعدهم البشرية القاصرة فحاولوا أن يوجدوا المسوغات النحوية لحالات النصب تلك الواردة في القرآن حتى إن اضطرهم الأمر إلى توسيع القاعدة النحوية بحيث تستجيب للوضع الجديد للآية، أو الابتعاد بهذه الآية عن المعنى المباشر المطلوب (الساعي، 2012) كما فعلوا في قوله تعالى: ﴿لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل إليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله وباليوم الاخر اولئك سنؤتيهم أَجرًا عظيمًا﴾ [النساء: 162].

وجاءت لفظة (المقيمين) في الآية منصوبة، بين عدة مرفوعات قبل وبعد فوجد النحويون أنفسهم محاصرين وليس لديهم ما يسوغ هذا النصب المفاجئ وغير المتوائم مع قواعدهم البشرية المحدودة فحاولوا أن يجدوا لهذا النصب تخريجه. قال الكسائي والخليل هو معطوف على قوله: (بما أنزل إليك) وقال الأخفش: هذا بعيد أن المعنى يكون: ويؤمنون بالمقيمين ووجهه المبرد بأنَّ المقيمين هنا هم الملائكة فيكون المعنى: يؤمنون بما أنزل إليك وبما أنزل من قبلك وبالملائكة. (الساعي، 2012) وحكى أن النصب على المدح يقيد لأنَّ المدح إنَّما يأتي بعد تمام الخبر، وخبر (الراسخون) هو قوله (اولئك سنؤتيهم أجرًا عظيمًا) وقيل: إنَّ (المقيمين) معطوف على الضمير في قوله (منهم) وفيه أنَّه عطف على مضمر بدون إعادة الخافض. (الشوكاني، 2007)

وكعادتهم دائمًا، أصر النحويون على إيجاد مسوغ نحوي يستند إلى قواعدهم البشرية المحدودة لمعالجة هذه الحالات القرآنية الفردية.

ومن الواضح أن تسويفاتهم سادها غالبًا الافتعال والتكلف ولوي عنق القاعدة أو المعنى وظل معظمهم يلهث خلف الآية يحاول أن يمسك بتلابيب الإعجاز القرآني المحير ويطوعه لقواعده النحوية المعاصرة التي وصفت بعد نزول القرآن بعشرات السنين وليس قبله، وكان من المفترض أن تستند قواعدهم إلى لغته أولًا وليس إلى لغة الشعر. (الساعي، 2012)

كما ذهب إبراهيم محمد المطعني إلى أنَّ مجرد القول بالاختصار في القرآن الكريم، علة سلبية لا تفسر الأساليب تفسيرًا بلاغيًا, وأخذ على السكاكي وعبد القاهر أنَّهما قد جعلا مجرد اختصار علة الحذف وعدوه وحده سرًا بيانيًا لتوجيه الأسلوب.

وأضاف المطعني بأنَّ توجهها هذا لا يمكن قبوله في يسر وأنَّ كل موضع حكموا بأنَّ الحذف فيه لمجرد الاختصار توجيهه بلاغيًا على غير الوجه الذي ذكروه (المطعني، 1992) نحو قوله تعالى: ﴿أهذا الذي بعث الله رسولا﴾، [الفرقان: 41] يقولون: إنَّ الحذف فيه لمجرد الاختصار ويرى المطعني أنَّ الموضع يحمل غير ما ذكروه, فهنالك أسرار بلاغية للحذف, فيرى أنَّ من صدر منهم هذا الكلام هم المشركون وهم ينكرون أن يكون محمد مبعوثًا رسولًا من عند الله لذلك صدروا قولهم باستفهام انكاري فجاء التعبير مصورًا للقلق النفسي الذي كان يساورهم من أمر الرسالة؛ لأنَّ اثبات الرسالة أمر لا تساعده عليه أنفسهم, (المطعني، 1992) فجاء حذف المفعول لأنَّهم يكرهون وقوع بعثه رسولًا في الواقع لذلك لم يوقعوا الفعل (بعث) على ضميره لأجل أن يطابق اللفظ حالتهم النفسية وهذا الحذف يصور لنا ما وراء اللفظ من خفايا نفوسهم وظواهرها, (المطعني، 1992) كما أشار المطعني إلى أنَّهم يعتبرون رعاية الفاصلة سببًا من أسباب الحذف وغير من مظاهر التعبير المخالفة للظاهر أو العرف اللغوي وهي كثيرة جدًا في القرآن.

وإنَّ هذه المواضع تحتمل وجهًا آخر غير مناسبة الفواصل ورغم أنَّ رعاية الفاصلة سبب أقوى من مجرد اختصار ومع ذلك لا ينبغي التعويل عليه وحده في توجيه الظاهر الأسلوبية نحو قوله تعالى: ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾، [الضحى:3] قالوا: إنَّ المفعول حذف لرعاية الفواصل. قال الالوسي (ت127ه): وحذف المفعول به في (قلى) الاستغناء عنه بذكره من قبل مع أنَّ فيه مراعاة للفواصل (الآلوسي).

أي: والذاكراته وسببه عند الزمخشري الاختصار اللفظي وظهور المحذوف. وذهب المطعني إلى أنَّ الأولى أن يكون السبب في الحذف كراهة مواجهة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بأنَّه موضع قلى من الله. (المطعني، 1992)

وأيد د. أحمد قوفي المطعني في أنَّ فكرة الحذف غير قائمة على الاختصار خلافًا للنحويين وإنَّما هناك أسرار بلاغية حاولوا دارسو الإعجاز أن يقفوا عندها نحو قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ [البقرة: 128]، حذفت منه الياء لحذف الواسطة بين العبد وخالقه، لإعطاء ايحاء بالاستعجال في تلبية الطلب، لأنَّ المناجي وهو الله شديد القوة لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

ويرى د. أحمد قوفي أنَّ الياء قد حذفت دلالة على القرب المعنوي لأنَّ الله سبحانه وتعالى حاضر في قلوب المؤمنين فاختاروا أوجز الطرق لتحقيق مبتغاهم فكان دعاؤهم مستجابًا فلا يرد دعاء من كان مخلصًا لله.

كما نقد دارسي الإعجاز المحدثين القدماء من ناحية التوظيف الصوري لقواعد اللغة في محاولة منهم لفتح مغاليق البيان الإلهي لكنه لا يصبح ذا جدوى إذا لم يعمق بالنحو الوظيفي الذي لا يلامس المعاني الجليلة في أرقى مستوياتها. (القوفي، 2018) فنجد أنَّ المفسرين يتفاوتون في معرفة أنواع علوم العربية؛ لذلك تنوعت التفاسير وتعددت قراءة القرآن، وكان جميعهم يوظفون علمهم بالعربية في تفسير النص واستنباط معناه، ودلالة تراكيب واساليبه، لكننا ينبغي لنا أن نعرف أنَّ ليس كل من

اشتغل بالنحو أو اللغة من أهل المعرفة بها فقد يكون حافظًا قواعد النحو وأقوال اللغويين ولكن قدرته المعرفية لا تتجاوز إعادة ما حفظه من دون استنباط ما وراء ذلك من دلالات الأساليب البيانية والتراكيب القرآنية خاصة في أحكامه، فهو إما أن الإنسان في موقفه مع مذهب نحوي فيردد ما حفظه من قواعده وأقواله وإما أن يميل في أحكامه إلى مذهب يحسنه في الفقه أو الفلسفة والكلام. (غازي)

كما وجه د. حميد النجدي نقده لبعض النحاة الذين يرون أنَّ النص القرآني لا بد أن يتبع قواعدهم النحوية، والبعض الآخر يرى أنَّ القواعد هي التي تتبع النصوص. ويرى أنَّ العرب عندما نطقوا اصطلحوا المعاني والألفاظ ولم يفكروا بالقواعد فكانت اللغة التي تكلموا بها على الفطرة ثم جاء النحاة واستنبطوا القواعد من تلك اللغة ومن تلك الالفاظ فكان العربي يرفع الفاعل وينصب المفعول به ويجر الحروف وينصب بالحروف الاخرى، فأستنبط النحاة قواعدهم من تلك النصوص، (النجدي، 2022) هذا يعني أنَّ العرب لم يضعوا القواعد أولا ثم تكلموا بالنصوص فهذا مخالف لتاريخ نشوء اللغة لذا يجب عدم تغليب القاعدة النحوية على النص القرآني لأن القرآن سبق في نزوله التفكير في القواعد النحوية فهو أجل من أن يعرض على القواعد النحوية لأنَّه أجل وأعظم وأعلى من هذه القواعد لأنه كلام إلهي مبين. (النجدي، 2022)

ومما منعه النحويون وهو وارد في القرآن الكريم وذهب إليه أكثر النحويين إلى القول بأن (رب) لا تدخل إلَّا على الفعل الماضي، ولا تتعلق بالفعل المضارع، ذهب إلى القول إنَّه يجب كونه، أي الفعل الذي تعلق به رب ماضيًا، وهذا ما قاله المبرد والفارسي وابن عصفور، وقال أبو حيان إنَّه المشهور ورأي الأكثرين، وقيل يأتي حالًا أيضًا، فلا يقال رب رجل سيقوم، قاله ابن سراج. (ابن السراج، 1996)

والغريب أنَّهم يلزمون كون الفعل بعدها ماضيًا، وقد وردت في القرآن داخله على الفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾.

فقام النحاة رد الآية بالشاهد الشعري، ولا يجعلونها معادلة له ليقضوا بإباحة الوجهين: دخولها على الماضي ودخولها على المضارع، بل إنَّهم ينحون بالآية القرآنية إلى التأويل اغراقًا عما يؤديه ظاهرها واجراءها على البيت الشعري حيث يقول أبو بركات الأنباري في سياق إعرابه الآية: (ولا يدخل بعد ربما الا الماضي وانما جاء بها هنا المضارع بعدها على سبيل الحكاية وحمله الزجاج على ضمير (كان) على تقدير: (ربما كان يود الذين كفروا). (ابن الأنباري، 1980)

وقال قائل من النحويين: (إن المستقبل موضوع في الآية موضع الماضي على حد وضع الماضي موضع المستقبل في قوله تعالى: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ [الكهف:99] والقياس فاسد لأنَّ الفعل (نفخ) يدل الماضي على المستقبل دلالة قاطعة بخلاف قوله رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿ فهو بصيغة المستقبل دالًا على المستقبل لما سيكشف لهم من الدلائل في المستقبل.

وإن فكرة رفض اخضاع النص القرآني لقواعد النحويين وصنعتهم الإعرابية لم تقتصر على دارسي الإعجاز القرآني بل نجد عددًا من الباحثين المحدثين تبنى هذا الرفض ومنهم د. خليل بنيان الحسون عرض في كتابه (النحويون والقرآن) مواقف النحويين من القرآن الكريم وهم يقعدون قواعد النحو العربي، إذ لم يفرقوا بين الشاهد القرآني، والشاهد الشعري بما يعلي من شأن القرآن الكريم لكونه كلام الله سبحانه إذ يقول: ولا نلمح تميزًا للشاهد القرآني أو إحلالًا له في رتبة تعليه على الشاهد الشعري، إذ لا يكتفي به إقرار الأحكام، وإنَّما نجد أنَّهم حريصون على أن يعضدوا ما يمثله بما (قال الشاعر)، فإذا أصابوه كان

ذلك عندهم أمثل، وكان الجدل عندهم لا ينقطع إذا قُدم الشاهد القرآني، وإنما نجدهم يعمدون إلى صرفه بالتأويل عما يدل عليه ظاهره، وهو بذلك لا يختلف عن الشاهد الشعري. (المسون، 2000)

ولم يقتصر هذا الرفض على د. خليل بنيان بل نجده عند غيره من الباحثين، إلَّا أنَّ ما يميز نقد دراسي الإعجاز القرآني، أن منطلقهم كان البنيان القرآني الذي يأبى أن يكون وفقًا لتوجيهات وتأويلات النحويين التي أحيانًا ما تكون مكلفة ومتصنعة، والقول بها يضيّع روعة البنيان القرآني، في حين أنَّ غيرهم من الباحثين مثل د. خليل بنيان فلم يكن منطلقه روعة البنيان القرآني، بل مرده أنَّ هذه القواعد لم تكن قائمة على الاستقراء الكامل الدقيق. وخلص د. خليل بنيان بقوله: أ ليس الأسير من هذا التمحل الذي سود به النحويون ما سودوا به من صحائف كتبهم الإقرار بأن (رب) تدل على الماضي وتدخل على المضارع آخذين بظاهر الآية، ولو احتمالًا، وهو كلام الله وإلَّا فما الذي يحملهم على هذا القدر من وجوه التأويل لجعل الآية موافقة لقواعدهم النحوية وذلك لأنَّ القرآن لا يعرض على القواعد بل إنَّ القواعد هي التي تعرض على القرآن الكريم لأنَّه فوق هذه القواعد (المسون، 2000)

وإن تمسك أغلب العلماء بأصول العربية وأحكامها وقواعدها وجعلوها نصب أعينهم فكانوا إذا ما وجدوا أي مخالفة بين المعنى وأصول الصناعة النحوية لجأوا إلى التأويل والتقدير حفاظًا على تلك الأصول المقررة.

إذ ظهر القول بالحذف في بعض التراكيب النحوية راجع إلى حرص النحويين على جعل هذه التراكيب المتسقة مع بعضها نحويًا ليعطوا أحكامهم صنعة الاطراد والعموم فقدموا اجتهادات بعيدو عن الواقع النطقي للغة لأنهم كانوا أصحاب علم مسوقين وراء اطراد أحكامهم وجعلها متسقة فالحذف والتقدير هي إحدى القواعد التي لجأ إليها النحاة لجعل قواعدهم مطردة، والتقدير الذي نعيبه هو كلمات تجتلب لتصحيح الإعراب، ولتكمل نظرية العامل، ويسمى النحاة هذا النوع من التقدير بالتقدير الصناعي وهو ما يراد به تسوية صناعة الإعراب. (مصطفى إ.، 2012)

ومن أجل ذلك أجاز فريق من العلماء في مواضع كثيرة من القرآن إعراب الجملة الاسمية المقترنة بالواو نعتًا للمنعوت النكرة، من ذلك قوله تعالى: وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ □. [الحجر:4]

فقد أعربوا جملة (ولها كتاب) نعتًا لقرية، (القيسي، 1971)ولم يكن ما أجازوه إلَّا مراعاة للمعنى، إذ إنزال الهلاك والعذاب على هذه القرية صفة لازمة لها وأهلها ليسوا بذوي خبرة بذلك، ناسب أن يكون في الجملة ما يدل على هذه الصفة وهي صفة لازمة للقرية قال الكتاب في لوح وصف أزلي ناسب ما يدل على هذا اللزوم واللصوق فهو (الواو).

وتوسطت (الواو) بين الصفة وموصوفها لتأكيد هذا اللزوم. (النيسابوري، 1996)

وبناء على ذلك أعرب أكثر العلماء جملة (لها كتاب) حالًا، (الأندلسي ا.، 1993)وقد اجمع العلماء على جواز مجيء الحال من النكرة إذا ما سبقت بنفي، لأنَّه يخرج النكرة من حيز الابهام إلى حيز المعلوم فيجوز مجيء الحال منها أو إذا اقترنت الجملة بالوا. وقد ذهب الخليل وسيبويه إلى أنه يجوز مجيء الحال من النكرة بلا مسوغ من المسوغات، وأخذ د. فاضل السامرائي برأي سيبويه واعتماد المعنى, إذ إنّ معنى الحال غير معنى النعت، فالأمر كما يرى يرجح للمتكلم، فإن أراد الحال نصب، وإن أراد النعت اتبع. (السامرائي، 2000)

وكان ينبغي على النحاة أن يتحاشوا الحكم على كلام الله بأنَّه لا يقاس عليه أو أنَّه مخالف للقياس، لأنَّ من شأن ذلك أن يؤدي إلى استبعاده عن النظر والتأمل فيما ينطوي عليه من الأسرار الدالة على إعجازه, إذ لا يبعد أن يكون ذلك منسجمًا مع قياس القرآن الذي يتمثل فيه إعجازه، وما أغناه لذلك عن أن يلتمس له دليل أو شاهد أو أن يحكم عليه بقياس غير قياس بل كان خليقًا بمن وصفوا النحو وأسسوا قواعده أن تكون المادة القرآنية أهم ما يقيمون عليه تلك القواعد ويستندون إليه في وضع النحو. (الجواري، 1974)

ولقد انتقد د. شلتاغ عبود النحويين في اخضاع القرآن لقواعدهم التي استوحوها من لغة العرب، وكان في تحكيم مذاهبهم وتطبيقها على القرآن أو تطبيق القرآن عليها جور وجراءة على كتاب الله وكان أن انتهى بهم الأمر إلى القول بوجود اللحن في القرآن، (علوش، 1997)وكان من المفترض عليهم أن يراجعوا قواعدهم الناقصة، وقد ظلت دراساتهم النحوية في الغلب قاصرة عن إدراك اسرار التعبير القرآني، وكان همهم أن تقيس النصوص العليا من بلاغة القرآن على القوانين الثابتة في النحو لديهم، ففي أسلوب العطف يرى أنَّ النحاة أصروا على فكرة التشريك المطلق في حروف العطف وجاء في مغني اللبيب: فأما التشريك: فزعم الاخفش والكوفيون إنَّه قد يتخلف، وذلك بأن تقع زائدة فلا تكون عاطفة البته. (ابن هشام، 2023)وجاء في البحر المحيط: ودعوى أنَّ (ثم) زائدة وجواب إذا ما بعد ثم، بعيد جدًا، وغير ثابت من لسان العرب زيادة (ثم)، (الأندلسي أ.، البحر المحيط، 1993)وجاء في تفسير السعود: (ثم تاب عليهم) تكرير للتأكيد تنبيه. (جار الله، 2010)

ويرى د. شلتاغ عبود أنَّ استقراء النصوص القرآنية في أسلوب العطف يخرق قاعدة النحويين التشريكية هذه.

والنظر في تفسيرهم للعطف بـ(ثم) الوارد في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾. [التوبة:118].

وحينما وجد النحاة عدم استقامة أمر التشريك في العطف الوارد بـ(ثم) في هذه الآية، قالوا بأنَّ (ثم) زائدة وجملة (تاب عليهم) جواب الشرط.

فيما رأى نحاة آخرين أنَّ فكرة القول بالزيادة لا معنى لها فقالوا بتقدير جواب الشرط (على رحمهم الله وغفر لهم) ثم عطف على هذا الجواب المحذوف فقال (ثم تاب عليهم) على أساس أنَّ (ثم) هنا عاطفة ليست زائدة. (عبود، 1993)

وكان جل هم النحاة هو اخضاع البيان العالي إلى قواعدهم النحوية، وإذا لم يتطابق أسلوب القرآن مع قواعدهم المحددة اطلقوا لأنفسهم العنان لتقديراتهم وقولهم بالحذف والتأويل. (عبود، 1993)

ولقد التفت باحث حديث (عفت الشرقاوي) إلى دلالة (ثم) بعد أن أورد المناسبة التي نزلت فيها الآية وهي تخلف كعب بن مالك وصاحبه عن غزوة تبوك والدلالة هنا تنطوي عن معنى (المفاجأة) وذلك بتحقيق الأمل بعد اليأس الطويل والحيرة والانتظار وضيق المطلق والتوبة الواسعة ورضاه عن هؤلاء الثلاثة المخلفين. (الشرقاوي، 1981)

يعد عالم سبيط النيلي أكثر دارسي الإعجاز القرآني من المحدثين نقدًا لقواعد النحويين وتأويلات المفسرين، إنَّ أكثر القواعد وضعت على أساس الشواهد العامة، ثم طبقت على القرآن (بالقوة القاهرة) تقديرً وحذفًا ونقلًا لجملة الكاملة وبتقديم وتأخير لألفاظه، وبإزالة ألفاظ ووضع أخرى مكانها، لأجل أن تطابق (العبارة المقررة) أخيرًا القواعد الموضوعة. (النيلي، 2006)

وكل هذه التقديرات مبنية أساسًا على ما يفهمه النحوي من معنى، فالمعنى هذا هو الذي يحدد القاعدة: بينما الغاية من قاعدة هي ضبط الكلام وتفسيره بعد معرفة إعرابه، (النيلي، 2006) وإن النحاة ما وضعوا قاعدة إلا وجاءوا لها بشاهد من القرآن فإن وجدوا أنَّ ما في القرآن لا يخضع للقاعدة، وضعوا لها قاعدة خاصة (النيلي، 2006) ومن تطبيقاته مجيء الفاء للترتيب وهي قاعدة وضعها أكثر النحاة والشاهد القرآني هو قوله تعالى: ﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾ [القصص:] وأنَّ القضاء عليه جاء بعد الوكز، ونقض الفراء القاعدة واحتج بقوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾، [الأعراف:4] إذ زعم أنَّ البأس قبل الإهلاك, إذ لا يعقل أن يأتي البأس بعد ما اهلكوا... وإذن فالفاء لا تفيد الترتيب وقد نقض النحاة قول الفراء بتقدير الآية هكذا (وكم من قرية اردنا اهلاكها فجاءها بأسنا)، (ابن هشام، 2023) وذلك بإخراج الإهلاك من كونه واقعًا إلى كونه ارادة، أي إنَّ هناك فعل آخر مقدم وعلى طريقة النحو: (فجاءها بأسنا فأهلكت) وبهذه الطريقة ارجح النحاة الفاء للترتيب وفقًا لقواعدهم النحوية.

لقد استطاع النحاة بتخريجاتهم النحوية اخراج الفعل (اهلكناها) من كونه فعلًا ماضيًا يفيد وقوع الهلاك إلى (إرادة) لا زالت غير متحققة قبل مجيء البأس. (النيلي، 2006).

ويستغرب النيلي من أنَّ المعنى الوحيد للفعل (اهلك) في أذهانهم أنَّ عمل هذا الفعل هو القضاء على القوم بالضربة القاضية مرة واحدة في حين أنَّ الإهلاك هو فعل بطيء الحركة لأنَّه انهاك حتى الموت واستدل بآية يوسف لبيان هذا المعنى ﴿حتى إذا هلك قلتم لن يبعث اللهُ من بعده رسولاً[غافر:34] (النيلي، 2006)

وقال أخوته لأبيهم أو تكون من الهالكين[يوسف:85] والمعلوم أنَّ الحزن لا يفعل ذلك إلَّا بعد مرور زمن طويل والفعل (اهلك) يفيد توفير الأسباب المؤدية للهلاك. وقوله تعالى: اهلكناهم يعنى شملهم بأنواع العذاب قبل مجيء البأس والذي يتضمن أنواعًا أخرى من العذاب السريع، فالأول مثل (السنين) ونقص الأموال والثمرات والثاني: هو الذي يؤدي إلى ابادتهم وقطع دابرهم وهو البأس ويخلص عالم سبيط النيلي بالقول إنَّ التقدير الذي أضافوه من مخيلتهم خاطئ، والرد عليه خاطئ ايضًا، والشاهد الذي ساقه الفراء متوهم فيه. (النيلي، 2006)

وكان النحويون لا يتورعون عن أي استدلال قرآني بطريقة تعسفية من أجل اثبات قواعدهم. (النيلي، 2006)

ويرى د. محمد فريد عبد الله أنَّ في مخالفة القرآن لقواعد النحو في موارد متعددة جاء مقصودًا من القرآن إذ إن القرآن أراد من ذلك أن يعكس حالات لهجية كانت سائدة عند العرب ((وقد لحظها الوحي الإلهي بالنص القرآني تعبيرًا عن حال الشمول وتنويعًا بفنون الإعجاز)) (مزيد، 2006) وعليه فالباحث – هنا - لا ينساق وراء تأويلات النحويين أو صنعتهم النحوية لإرجاع هذا الخروج القرآني على قواعد النحو الى مقتضى القاعدة النحوية، بل يبقى على هذا الخروج ويعدَّه وجهًا من وجوه الإعجاز، مثلما صنع في قوله تعالى: قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ [طه: 63] وقد تعددت اجتهادات النحاة في تخريج هذه الآية التي تخالف قواعدهم، (ابن هشام، 2023)فالباحث يرى أنَّ هذه الآية الكريمة هي من الآيات الإعجازية التي جاءت على صيغة الخطاب العربي الذي تأتي فيه: ((إنّ تأكيدية مهملة)) لا عمل لها سوى التأكيد وذلك بالاستناد إلى أمرين اثنين ضمنهما سياق النص اولهما: ورود المبتدأ والخبر مرفوعين وثانيهما: ورود لام التأكيد التي لا تقترن بالخبر إلا إذا كانت (إنَّ) للتأكيد وهمزتها مكسورة. (مزيد، 2006)

وبهذا فهو ينتقد ضمنًا الوجوه التي احتملها النحويون في تخريج هذه الآية، ومن هذه الوجوه: إنَّ بمعنى (نعم) وما بعدها مبتدأ وخبر، وقيل إنَّه على حذف ضمير الشأن، والتقدير إنَّه هذا لساحران، وخبر إنّ الجملة من قوله هذان لساحران، واللام في لساحران داخلة على خبر المبتدأ، وضعف هذا القول بأن حذف هذا الضمير لا يجيء إلَّا في الشعر، وبأن دخول الخبر في اللام شاذ، وقال الزجاج: اللام لم تدخل على الخبر بل التقدير: لهما ساحران فدخلت على المبتدأ المحذوف واستحسن هذا القول المبرد، وقيل إنَّ الألف هنا علامة التثنية على أي حال وهي لغة لبني الحارث وقيل لكنانة ويقرأ (إنْ) بالتحقيق، وقيل: هي: مخففة من الثقيلة و(هذان) مبتدأ و(لساحران) الخبر واللام للفرق بين أن النافية وأنْ المخففة من الثقيلة على رأي البصريين, والكوفيون يزعمون أن (إن) نافية واللام بمعنى إلَّا. (جار الله، 2010)

والباحث عند اذ دحض واعد النحاة وعد الآية وجه من وجوه الاعجاز القرآني.

كما دحض الباحث شرط زيادة (مِنْ)، (مزيد، 2006) فيرى أنَّ أكثر النحاة يرون أنَّ حروف الجر (مِن) قد يكون زائدًا إذا تهيأت له ثلاث شروط وهي: (أن تكون مسبوقة بنفي أو نهي أو استفهام ان يليها مجرور نكرة، وان يكون المجرور النكرة مبتدأ أو فاعلًا أو مفعولًا).

إلَّا أنَّ الأخفش قد استخلص من النص القرآني ما يدحض الشرطين الأولين (ابن هشام، 2023) وذلك استنادًا الى نصوص الآيات التالية: وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ □، □ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ يُخَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ ، □ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ

وقد أخذ بقول الأخفش ثلة من العلماء كابن جني الذي رأى زيادتها في قوله تعالى: لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ كما رأى الزمخشري زيادتها في قوله تعالى: وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ورأى أبو علي الفارسي زيادتها في قوله تعالىوَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ

فتخريجات النحويين بعدم زيادة (من) في هذه المواضع القرآنية غير مقبولة ومرفوضة وجابهها هذا الباحث بالنقد، وهذا مصداق بارز للنقد النحوي عند دارسي الإعجاز القرآني.

الخاتمة:

بعد أن شارف البحث على الانتهاء لا بد من عرض لأهم النتائج التي توصل إليها, وهي:

- لاحظنا مجيء التركيب القرآني على نظم متفرّد يخالف العديد من القواعد التي استقر العرف النحوي على صحتها واطرادها.

- لم يكن ذلك الخروج على قواعد الصنعة النحوية واردًا على سبيل المخالفة أو الاعتباط, بل كمنت وراء ذلك جملة من الدقائق البيانية, واللمسات البلاغية, التي ما كان لها أن تحصل لو جاء التركيب القرآني على غرار القواعد النحوية.

- يبدو أن النحويين كانوا أكثر قربًا إلى مراعاة القاعدة النحوية منها إلى الوقوف على السر البلاغي في القرآن, أما دارسو الإعجاز القرآني فحاكوا القاعدة في ظل مراعاة المعنى والأسرار البلاغية في التركيب القرآني.

- أسفرت الصنعة النحوية والرغبة الكبيرة في مراعاتها لدى النحويين عن ظهور مظاهر التكلّف وكثرة التأويل والتقدير في العديد من المواطن التفسيرية والقرآنية.

- كان جهد النحويين أقرب إلى الشكل منه إلى المعنى, وكان جهد دارسي الإعجاز أقرب إلى المعنى منه إلى الشكل, وكان ذلك أهم نقطة في الاختلاف بين الجهدين.

- كان هذا الاختلاف في منهج النظر إلى التركيب القرآني سببًا في نشاط الدرس القرآني على المستوى النحوي لدى الباحثين المحدثين.

- إنَّ من يتابع واقع المعنى في ظل اختلاف أهل الصنعة النحوية مع وجهات نظر دراسي الإعجاز القرآني قد يلحظ أنَّ للقرآن نحوه الخاص الذي يجب أن يُلتزم به عند التفسير لآياته, والإعراب لتراكيبه.

المراجع:

إبراهيم أنيس. (ط2, 1976م). دلالة الألفاظ. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.

إبراهيم مصطفى. (2012). إحياء النحو. مصر: مؤسسة هنداوي .

ابن جني أبو الفتح. (2018). الخصائص. مصر: الهيأة المصرية العامة للكتاب.

ابن عطية الأندلسي. (1993). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. بيروت: دار الكتب العلمية.

أبو البركات ابن الأنباري. (1980). لبيان في غريب إعراب القرآن. مصر: الهيأة المصرية العامة للكتاب.

أبو بشر عمر بن عثمان سيبويه. (1988). الكتاب. مصر: مكتبة الخانجي.

أبو حيان الأندلسي. (1993). البحر المحيط. بيروت: دار الكتب العلمية.

أبو حيان الأندلسي. (1998). التذييل والتكميل في شرح التسهيل. دمشق: دار القلم.

أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني. (تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد). العمدة في الشعر وآدابه ونقده.

أحمد الساعي. (2012). المعجزة. الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

أحمد القوفي. (2018). مظاهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم. الأردن: مركز الكتاب الأكاديمي.

أحمد يوسف. (٢٠٠٥م). الدلالات المفتوحة مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة. منشورات الاختلاف, ط1.

الأخطل. (ط2, 1994م). ديوان. بيروت: دار الكتب العلمية.

الحميري عبد الواسع. (2010). في آفاق الكلام وتكلم النص. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

السكاكي. (ط١ ١٩٨٣م). مفتاح العلوم، ضبطه وكتب الهواش وعلق عليه نعيم زرزور. بيروت لبنان: دار الكتب العلمي.

السيد الشريف الجرجاني معجم التعريفات. (بلا تاريخ). لسيد الشريف الجرجاني.

الشريف الجرجاني. (2004م). معجم التعريفات, تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي. القاهرة: دار الفضيلة.

الملوح قيس. (ط ١، ١٩٩٩م). الديوان, دراسة وتعليق يسرى عبد الغني, رواية أبي بكر الوالبي. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية.

بثينة جميل. (بلا تاريخ). ديوان. بيروت: دار صادر.

تمام حسان. (2000). الأصول دراسة ابستملوجية للفكر اللغوي. القاهرة: عالم الكتب.

توبة الحمير. (1986م). ديوان, تحقيق: خليل إبراهيم. مطبعة الإرشاد.

جلال الدين السيوطي. (2006). الاقتراح في اصول النحو. دار البيروتي.

جميل علوش. (1997). الإعراب والبناء. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

حميد النجدي. (2022). الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم. ميتا بوك.

خليل المسون. (2000). النحويون والقرآن. بيروت: مكتبة الرسالة الحديثة.

ديوان قيس بن ذريح. (ط ٢، ٢٠٠٤م). عبد الرحمن المصطاوي. بيروت - لبنان: دار المعرفة.

ديوان يصيب بن رباح. (١٩٦٧م). جمع وتقديم الدكتور داود سلوم. بغداد : مطبعة الإرشاد.

زهير غازي. (بلا تاريخ). المعرفة اللغوية وتفسير النص القرآني.

شلتاغ عبود. (1993). الاعجاز القرآني اسلوبًا ومضمونًا. بيروت: دار المرتضى.

شهاب الدين الآلوسي. (بلا تاريخ). روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

صباح عبيد. (ط1, 1986م). الأساليب الإنشائية وأسرارها في القرآن الكريم. مطبعة الأمانة.

عالم سبيط النيلي. (2006). النظام القرآني. بيروت: دار المحجة.

عائشة بنت الشاطئ. (1996). التفسير البياني للقرآن الكريم. مصر: دار المعارف.

عبد الجليل عبد الرحيم. (1981). عبد الجليل عبد الرحيم. الأردن: مكتبة الرسالة الحديثة.

عبد الستار الجواري. (1974). نحو القرآن . العراق: المجمع العلمي العراقي.

عبد العظيم المطعني. (1992). خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية. مصر: مطبعة وهبة.

عبد الفتاح محمد. (1999). النحو العربي بين الصناعة والمعنى. مصر: جامعة الأزهر.

عبد الفتاح محمد. (1999). النحو العربي بين الصناعة والمعنى. مصر: الهيأة العامة للكتاب.

عبد الهادي الشهري. (ط1, 2004). استراتيجيات الخطاب - مقاربة لغوية تداولية. ليبيا - بنغازي: دار الكتب الجديدة.

عفت الشرقاوي. (1981). بلاغة العطف في القرآن الكريم دراسة أسلوبية. بيروت: دار النهضة.

علي توفيق الحمد. (ط2, 1993). المعجم الوافي في أدوات النحو العربي. الأردن: دار الأمل.

علي صابر. (١٩٨٩م). اسلوب الاستفهام في شعر السياب هاني, رسالة ماجستير. الموصل: كلية الآداب جامعة الموصل.

علي كاظم. (ع 15، ديسمبر 2003م). شعرية المجاز في البلاغة العربية, مقالة بحث منشور في مجلة جذور. مجلة١.

فاضل السامرائي. (2000). معاني النحو. الأردن: دار الفكر.

فخر الدين الرازي. (1981). مفاتيح الغيب. مصر: دار الفكر.

قيس بن الملوح. (ط1, 1999م). ديوان,. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية.

كاظم صباح. (ع ٢٢ .). اسلوب الاستفهام في شعر الاعشى دراسة بلاغية, بحث. مجلة واسط كلية التربية للعلوم الإنسانية.

محمد ابن السراج. (1996). الأصول في النحو. مؤسسة الرسالة.

محمد ابن هشام. (2023). مغني اللبيب.

محمد الشوكاني. (2007). فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. بيروت: دار المعرفة.

محمد النيسابوري. (1996). غرائب القرآن ورغائب الفرقان. بيروت: دار الكتب العلمية.

محمد مزيد. (2006). من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم. بيروت: دار المراسم.

محمود جار الله. (2010). الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. مصر: مكتبة مصر.

مصطفى ناصف. (2000). نظرية المعنى في النقد العربي, مصطفى ناصيف. دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع.

مكي القيسي. (1971). مشكل إعراب القرآن الكريم. ذو القربى: قم.

ناصيف مصطفى. (2000م). نظرية المعنى في النقد العربي. دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع.

هاجر سلمان. (ع ٢٣، ٢٠١٩ م.). طاقة التأثير في أسلوب الاستفهام ماهيتها وأسبابها دراسة تطبيقية في الخطاب القرآني, بحث. مصر: مجلة جامعة الأزهر حولية كلية اللغة العربية.

يحيى أبو زكريا. (1955). معاني القرآن الكريم. مصر: دار الكتب العلمية.